مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم

وسئل ما تقولكم في شاعر مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
اهوى رشا له الشمس شوق * يهتز من العجب دلالا ولو نفا
الى غير ذلك من الابيات التي قالها هل يجوز ان يمتدحه بمثل هذا كلفظ العجب الوارد
الى الكرام لا وماذا يترتب عليه فاجاب أجاب الشيخ ابو السرور البكري بما نصه العجب
من الاعجاب ومن احد ما يراد به السرور والتام بما اسداه الله تعالى اليه من الخصوصيات الربانية
والمقامات الاحسانية التي يكون العجب بها غاية ونهاية الفرح المقرون بمزيد خشية الرب تعالى
وتقدس وما يؤدي منه الى الكبر فعلى م انا احدا من المسلمين لا يعتقده في مدح النبي سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم والحاصل ان هذا كلام له معنى صحيح يحمل عليه بقرينة المقام تصرفا اليه وان
كان الاولى ترك ما يحتمل ذلك واجبت بحواب ذلك قال في القاموس وعجب به عجب
وسر كالعجب والله اعلم وهذا اخر ما وقفت عليه من الفتاوى الحانوتية في هذا الباب والله
اعلم بالصواب وسئل رضي الله عنه عن رجل كتب الي من اعتاد شكوى حاله عليه شكوى

مطلب شكوى الحال

من احوال الزمان بما نصه وهذا الفقير قد ترك الناس ولزم بيته مع الاولاد والعيال
ومع ذلك لم يخل من الحقد والحسد من القيل والقال على الخصوص حتى انه تضعضع حاله حتى بقي
بسوء اجهل الجهال واتى الانذال حيث لم يجد لامر يريد عمهم بطواعين المقال ويصفعهم
بالخفاف والنعال ولقد صدق من قال

انقلب الدهر بالبرايا * فالناس في غاية العكوس
كأنهم في غدير ماء * فالرجل تعلو على الرؤوس

فهل هذا الكلام يحمل على سب الدهر المنهي عنه في الحديث الشريف ام لا فاجاب ليس
ما ذكر سبا للدهر ولا مشتملا عليه ولا فيه ارتكاب محذور لنسبة الافعال اليه وانما هو
نفثة مصدور وقد جرى بذلك عادة الفضلا قديما وحديثا واتخذوه
في سامراتهم ومحاوراتهم فكاهة وحديثا من احتاج به على اهل الفضل وحط كلكله على اهل
الوصل والفضل فهم لا يزالون منه يشكون ومن حوادثه يبكون وامتلات بذلك الكتب
والاسفار ومنا قلة ارباب الاقامات والاسفار وليس ذلك عن اغتفال صدور
الانفعال منه على الحقيقة عند اهل الشريعة والطريقة وانما اسناد الفعل اليه من اسناد
الشي الى ظرفه وهو من المجاز العقلي كما هو المقرر عند علماء المعاني واما الحكماء الدهرية فعندهم
ان الحوادث اسبابها اوضاع الفلك فنسبوا الفعل الى الزمان فلذلك ذا بانا ام حسنا
في غاية الشكوى في السر والنجوى وشكواهم فيه على اعتقاد صدور الانفعال منه حقيقة
فلذلك لما ورد الشرع نبه على ان الامر ليس كما اعتقدوا بل الحوادث جميعها بقضاء الله
وقدره فقال عليه الصلاة والسلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وليس المراد من
الحديث المذكور حمل الدهر على الله بالحقيقة لان الحمل قسمان حمل المواطاة وهو الحمل بهو هو وحمل
الاشتقاق وهو الحمل بذو هو وبيانه ليس واحد منهما مرادا ايضا اما الاول فظاهر واما الثاني
فلانه مختص بالمشتقات وليس هذا منها وانما جعل من قبيل الرد على الزاعم بمقتضى زعمه وذلك
لانهم ما سبوا الدهر من حيث هو دهر لانه لا يقتضي السب من هذه الحيثية بل من حيث صدور
الانفعال منه على زعمهم فاذا جعل مناط السب هو صدور الانفعال فالمسبوب في نفس الامر
هو الفاعل الصادر منه الفعل حقيقة وهو الله تعالى لما علمت من اسناد الفعل الى غيره
مجاز عقلي عندنا وحقيقة الانفعال انما هي صادرة من الله تبارك وتعالى فهو الهم من سب
الفاعل وان عن نوه بعنوان الدهر وعليه يحمل ما ورد من هذا القبيل ويرجع فيه الى هذا

التاويل

التاويل والدهر اسم الزمان فقط واما من قال انه اسم الله تعالى ايضا وحمل الاحاديث الوارده
فيه على ظاهرها من غير تاويل لها بسب الدهر فهو قول بين الخطا لكن عند الاطلاق يحمل على ارادة
المعنى الاول حملا لحال المؤمن على الصلاح وتبرئة لساحته عن رتبة الكفر والعياذ بالله تعالى
فقد نص علماؤنا رضي الله عنهم على انه اذا صدر من الشخص قول او فعل وكان له تسعة وتسعون احتمالا
يقتضي كفره به واحتمال واحد يقتضي تنزيهه عنه يحمل على هذا الوجه فيحكم ببقاء اسلامه
دون تلك المقتضية خلافه وهذان البيتان يشيران الى ان الدهر كان صالحا في اوله
مفسدا في اخره والى هذا اشار ابو الطيب حيث قال

اتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم واتيناه على الهرم

ومنهم من ذهب الى انه لم يزل فاسدا وان الشان في ذلك لم يبرح واحدا ولما كتب
ابو العلا المعري الى بديع الزمان الهمداني ان الزمان قد فسد كتب اليه اتزعم
ان الزمان فسد اما تقول لي متى كان صالحا في الدولة العباسية وقد راينا اخرها
وسمعنا باولها ام في الايام المروانية وفي اخبارها ما يكسع الشول باغبارها ام في الايام
الحربية والسيف يغمد في الطلى والرمح يركز في الكلى ام في الايام الهاشمية وعلي يقول
ليت لي بكل عشرة منكم واحدا من بني فراس بن غنم ام في ايام عثمان وقد تام النفير الى
الحجاز وتحصنت العيون في الاعجاز ام في الخلافة العدوية وصاحبها يقول هل بعد
البزول الا النزول ام في الخلافة التيمية وابو بكر يقول طوبى لمن مات في فاتاة الاسلام
ام في عهد الرسالة وقد قيل فيها اسكتي يا فلانة فقد ذهبت الامانة ام في الجاهلية
ولبيد يقول * ذهب الذين يعاش في اكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب * ام قبل
الجاهلية ويقول اخا عاد * بلاد بها كنا وكنا نحبها * اذ الناس ناس والبلاد بلاد * ام قبل
ذلك وادم يقول * تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح * ام قبل خلق
ادم وقد قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وما علمت ان الزمان ما فسد
لكن القياس قد اطرد انتهى وما ذهب اليه بعضهم من ان الدهر لا يزال يحط كلكله على الفضلا
ويخص بنكبته الاجلاء النبلاء هو المشهور المذكور والمنقول الماثور وخالف في ذلك
بعضهم فقال ليس الامر كما زعمتم ولا الشان كما ظننتم بل الامر على خلاف ذلك وانما
ظهر هذا بالنسبة الى الفضلا لانهم كالشعرة البيضاء في اللمة السودا بالنظر الى ما قلتم
وكثرة الاغنيا فهم قليل في كثير فلذلك احاط الغم بمن لم ينصفه دهره ولم يبلغه امره
فان القليل يظهر فيه التاثير قال والا فلو نظرنا اليهم تحاملا مع العوام واذكنت الحرقة من
الطعام لوجدنا اكثر من عدد الرغام وانما طلب الكثير في الكثير مجزا انتهى وهذا خلاصة ما
نفث به القلم بما دار ثم والله اعلم بالحكم واما الحديث الوارد فاستغنينا عن بيانه عما دار
على ما ذكره شراح كلام مخرجه فقد اخرجه الامام مسلم في صحيحه وتكلم عليه شراحه بما ظهر
من بيان محمله وصحيح لخشية الاحكام الموجبة للدلالة من بيانه الحكم في ذلك صحيحا
عند لشيخا لكونه غنيا عن البيان واضح المعاني غير محتاج الى البيان فمن اراد الوقوف
على لفظه فليطلبه من مظانه نقدا وحفظا والله اعلم وسئل العلامة جمال الدين محمد
بن ظهيرة رحمه الله تعالى ونفع به عن الخرقة المتداولة بين الطائفة الصوفية هل لها اصل
في الشرع ام لا وهل هي متصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم اتصالا محكوما به ام لا وعلى تقدير اتصالها
هل لها سند حسن او مشهور او غريب او غير ذلك من الآفات الوصفية وعلى انكارها
عليهم صواب ام خطا ومن زعم انها بدعة لم تعهد في الصدر الاول هل هو مصيب ام مخطي

فتاوى بن ظهيرة القرشي

مطلب في لبس الخرقة التي تلبسها السادة الصوفية

Copyright King Saud University